بسم الله الرحمن الرحيم



إلقاء الأستاذ الدكتور:

أيمن بن سعود العنقري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل اجتماعنا في هذا المكان المبارك اجتماعًا مرحومًا، تحفُّنا فيه الملائكة وتغشانا فيه الرحمة وتتنزل علينا السكينة ويذكرنا الله جل وعلا فيمن عنده.

وقفنا على الناقض الثاني من نواقض الإسلام الذي ذكره الإمام المجدد، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهو: "مَن جعل بينه وبين الله جل وعلا وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، فقد كفر".

هذا الناقض هو الذي وقع فيه كفار العرب الذي بُعِث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كما حكى الله ذلك عنهم في كتابه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٨].

فهم عبدوا غير الله من الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرفوا لهم أنواع العبادة؛ كالدعاء والاستغاثة والخوف والرجاء والتوكل والمحبة، ولهذا مَن صرف أي نوعٍ من أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى فقد وقع في الشرك الأكبر.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[المؤمنون:١١٧].

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الحديث الصحيح يقول: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**».

وربنا جل وعلا يقول في كتابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠].

فقوله رحمه الله: "مَن جعل بينه وبين الله وسائط".

"**الوسائط**" هنا فيها تفصيل؛ هناك وسائط لا بد للعبد أن يؤمن بها، الوسائط التي لا بد للعبد أن يؤمن بها في تبليغ الرسالة، **مَن الذي بلَّغ لنا الرسالة؟** هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولهذا هؤلاء الوسائط يجب الإيمان بهم، الذين هم (الأنبياء والرسل) عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم الواسطة بيننا وبين الله جل وعلا في تبليغ شرعه؛ ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[النساء:١٦٥].

ولهذا مَن قال: أنا لا أعترف بالأنبياء والرسل، وإنما آخذ عن الله مباشرة كما عليه الآن الصوفية القبورية؛ فالصوفية يقول أحدهم: "حدثني قلبي عن ربي" مباشرة، يسمونه بـــ(الكشف الصوفي)، هذا عندهم أنَّ العبد يأخذ عن الله مباشرة، هذا كفر بالله سبحانه وتعالى.

مَن ألغى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وقال: "إنني آخذ عن الله إمَّا يقظة أو منامًا" هذا كُفر بالله سبحانه وتعالى.

إذًا هذه واسطة يجب الإيمان، وهم الأنبياء والرسل.

الواسطة الثانية الممنوعة: اتخاذ غير الله جل وعلا من الأنبياء أو الصالحين أو الأولياء وسائط في صرف العبادة لله سبحانه وتعالى؛ كأن يدعو نبي من الأنبياء، يقول: يا رسول الله أغثني، يا رسول الله اشفع لي، يا رسول الله المدد. هذا كله من الشرك بالله سبحانه وتعالى؛ لأنه صرف عبادة الدعاء لغير الله سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله: "يدعوهم ويسألهم الشفاعة".

لا يجوز أن تسأل النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة فتقول: يا رسول الله، اشفع لي، وإنما المشروع أن تقول: "اللهم شفِّع فيَّ نبيك يوم القيامة".

يوم القيامة عندنا تأتي الشفاعة لأهل الموقف ويتخلى عنها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلى أن تأتي إلى نبينا عليه الصلاة والسلام، فيأتي عليه الصلاة والسلام فيسجد تحت

العرش ويقول: «**يا رب، أمتي أمتي**»، فيقول الله جل وعلا له: «**يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعطى، واشفع تُشفَّع**».

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا ممن شفع فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف العظيم.

فإذا قلت: "اللهم شفِّع فيَّ نبيك" فالدعاء مشروع، لكن الممنوع والشرك: أن تقول: يا رسول الله اشفع لي، أو يا رسول الله ارفع حاجتي إلى الله، أو يا رسول الله أنا متوكلٌ عليك، أو يا حسين ارفع حاجتي إلى الله، اشفِ مرضي، هذا كله من الشرك الأكبر المخرج من دائرة الإسلام.

قال: "أو يتوكل عليهم".

ما هو التوكل؟

صدق الاعتماد على الله جل وعلا في جلب المنافع أو دفع المضار مع الأخذ بالأسباب، هذا هو التوكل، أعظم أعمال القلوب يا إخوان: هو التوكل على الله سبحانه وتعالى.

أمَّا مَن توكل على غير الله؛ كالنبي صلى الله عليه وسلم أو غيره في الأمور التي لا يقدر إلا الله؛ مثل قال: "يا رسول الله، أتوكل عليك في تحصيل وظيفة لي، أو ولد" هنا وقع في الشرك الأكبر؛ لأن هذه الأمور لا يقدر عليها إل الله سبحانه وتعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] في المجلد الأول:
"فمن جعل بينه وبين الله وسائط -أو الملائكة- يدعوهم من دون الله، ويسألهم الشفاعة، ويسألهم تفريج الكربات، وهداية القلوب إلى الله سبحانه وتعالى، وسد الفاقات -الفاقات: الفقر-، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين؛ لأن هذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى".

- يقول ربنا جل وعلا: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشعراء:٨٠].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:١٣٥].

كل هذه الوسائط ممنوعة؛ تدعو الله جل وعلا مباشرة.

أمَّا القسم الأول وهي الوسائط المشروعة الذين هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فيجب الإيمان بهم؛ لأنهم هم السفراء بين الله وبين خلقه، هم الذين بلغوا شرع الله سبحانه وتعالى.

ولهذا الصوفية -كما قلنا- القبورية المبتدعة، ومنهم جماعة التبليغ، هؤلاء قبورية الهند وباكستان كما يقول شيخهم محمد إلياس الديوبندي القبوري، قال: "إني كاشفت عن الله جل وعلا في المنام".

هذا باطل؛ ما فيه مكاشفة، بينما الكتاب والسُّنة الكشف نُبعِده ونُلغيه ولا نأتي به، هذا عند الصوفية، ما عندنا لقاء بيننا وبين الله مباشرة، الشرع: هو ما جاء في الكتاب والسُّنة، نأخذ منهما ونستقي منهما.

مسألة أخرى وهي مهمة: مسألة التوسل.

وهي أن يجعل الداعي في دعائه سببًا يكون لقبول دعائه.

التوسل، هذه مسألة يكثر السؤال عنها، نقول:

التوسل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: توسلٌ مشروع.

القسم الثاني: توسلٌ ممنوع.

أمَّا الأول فهو على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى صفاته العلا.

كأن تقول: "برحمتك أستغيث، اللهم إنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد، أسألك أن تغفر لي وترحمني" هذا توسل مشروع؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[الأعراف:١٨٠]، أو تتوسل بصفة من صفاته.

من الصفات: الرحمة؛ تقول: "اللهم برحمتك"، -الباء هنا للسببية، أي: بسبب رحمتك أستغيث-هنا توسلت إلى الله بماذا؟ بصفة من صفاته، وهي صفة الرحمة له سبحانه وتعالى، هذا توسل مشروع، وهو التوسل بأسماء الله وبصفة من صفاته العلا.

القسم الثاني: التوسل بالعمل الصالح.

كأن تقول في دعائك: "اللهم إيمانًا بك ومحبةً بنبيك صلى الله عليه وسلم اقضِ حاجتي" كما في القرآن الكريم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾[آل عمران:١٩٣]؛ توسلوا إلى الله بإيمانهم بالله سبحانه وتعالى وهو عمل صالح.

ومن الدليل على مشروعية هذا النوع من التوسل (التوسل بالعمل الصالح): ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين، في قصة النفر الثلاثة من بني إسرائيل الذين كل واحدٍ منهم توسل بعمل صالح.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**كان فيمن قبلكم في بني إسرائيل ثلاثة، فانطقوا حتى أتوا إلى غار فانطبقت عليهم الصخرة وأغلقت عليهم الغار -الصخرة-، فتوسل كل واحد منهم بعمل صالح، قال أحدهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وإنهما ناما**» أخذهم النوم «**فحلبت الغبوق**» حلب لهم اللبن «**ووقفت عند رأسهما، والصبية تحتي**» أبنائي يتغاغون من الجوع، شوف كيف البر بالوالدين! شوف جالس معه الإناء وهم نائمان إلى أن استيقظا فأعطاهما الغبوق فشربا، «**قال: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك**» شوف الآن توسل إلى الله بماذا؟ بوالديه، بعمل صالح «**فافرج عنا ما نحن فيه**»، قال الراوي: "فانفرجت الصخرة شيئًا يسيرًا لكن لا يستطيعون الخروج".

قال الثاني منهما: «**اللهم إنه كانت لي ابنة عم جميلة، وإني أحببتها وأصابتها حاجة**» فاقة أي: فقر «**فراودتها عن نفسها، فلما وقعت منها موضع الرجل من أهله**» كاد أن يفعل بها «**قالت: يا فلان، لا تفض الخاتم إلا بحقه**» لا تزني بي «**قال: فقمت عنها وهي أقرب ما**

تكون، اللهم إني كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فافرج عنا ما نحن فيه»، قال الراوي: "فانفرجت الصخرة شيئًا يسيرًا، لكن ما يستطيعون أن يخرجوا"، توسل إلى الله بتركه فاحشة الزنا.

قال الثالث منهما: «**اللهم إنه كان أُجراء فأعطيت كل واحدٍ أجره إلا واحدًا ذهب ولم يأخذ أجرته، فحفظتها له، فلما رجع قال: يا فلان أعطني حقي، قلت: هذا حقك من الغنم والإبل الموجودة هذه، قال: يا فلان، تسخر بي؟! قال: لا أسخر بك، ولكن هذا حقك، هذا الغنم، الغنم توالدت وتناسلت فأخذها وانصرف، قال: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فافرج عنا ما نحن فيه**»، قال الراوي: "فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون".

كل واحد منهم توسل إلى الله بعمل صالح؛ الأول ببره بوالديه، والثاني بتركه لفاحشة الزنا، والثالث بأداء الحقوق لأهلها.

القسم الثالث من التوسل المشروع: التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي.

تطلب من رجل صالح حي يدعو لك، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه، أنَّ أعرابيًّا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى يُغِيثْنَا"، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم، وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**» قال الراوي: "فَلا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلا قَزَعَةٍ ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلا دَارٍ، فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ فَأَمْطَرَتْ عليهم ونزل عليهم المطر".

وجاء في الجمعة القادمة وقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُمْسِكَهَا عَـنَّا، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم رافعًا يديه: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» فتوقف المطر وخرجت الشمس.

هنا توسلوا إلى الله بماذا؟ بدعاء الرجل الصالح، وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

ثبت في صحيح البخاري، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسل بدعاء العباس بن عبد المطلب، قال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا" -متى؟ في حال حياته، وليس بعد موته- "وإنَّا نتوسل إليك بعم نبينا، قم يا عباس فادعُ الله لنا"، فقام العباس بن عبد المطلب ودعا الله لهم، ونزل عليهم المطر.

إذًا التوسل المشروع ثلاثة أنواع:

١) التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

٢) التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.

٣) التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الحي.

أمّا الممنوع فهو على قسمين:

القسم الأول: التوسل البدعي.

مثل: سؤال الله بجاه النبي (بجاه نبيك، أو بجاه عبد القادر، أو بجاه البدوي، أو بجاه الحسين)، هذا بدعي لا يجوز؛ لأن جاه الشخص له لا يفهمك وإنما جاهه لك.

وأيضًا الدعاء عبادة من العبادات، والعبادة توقيفية، لا بُد أن يأتي نص من القرآن والسُّنة على مشروعيتها، و لم يرد في القرآن والسنة مشروعية التوسل البدعي؛ مثل: سؤال الله بجاه النبي، أو بجاه فلان، أو بذات فلان، أو بحقه أو بحرمته، هذا ممنوع، لا يجوز.

الأمر الثاني مما يدل على أنه ممنوع: أنَّ الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم الفاروق عمر عَدَلُوا عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وقبره بين ظهرانيهم في المسجد النبوي، وتوسلوا بدعاء الحي الحاضر وهو مَن؟ العباس رضي الله عنه. وهذا إجماعٌ منهم على أنَّ المشروع: التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي.

أمَّا الميت لا يُسأل الله عز وجل لا بذات الميت، ولا بجاهه، ولا بحقه، ولا بحرمته؛ هذا من التوسل البدعي الممنوع، وحاشاهم رضي الله عنهم أن يتركوا شيئًا مشروعًا، وإنما المشروع ما فعلوه لا ما تركوه رضي الله عنهم.

القسم الثاني من التوسل الممنوع: التوسل الشركي.

وهو سؤال الأموات ونداء الغائبين؛ سؤال الأموات كأن يقول الشخص -لا حول ولا قوة إلا بالله-: يا رسول الله أغثني، أو يا فلان المدد، أو يا فلان فرج كربتي، أو ارزقني الولد، هذا من الشرك بالله سبحانه وتعالى.

كذلك نداء الغائبين، هذا عند أصحاب الطرق الصوفية، نجد بعض المريدين ينادي شيخه على بُعد مفازات ومسافات كبيرة: "يا شيخي فلان أغثني"، ما يجوز، هذا من الشرك بالله؛ لأن السمع، اتساع خاصية السمع لمن؟ لله سبحانه وتعالى؛ ولهذا الله عز وجل ماذا قال؟ ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ سواءً كانوا أموات أو غائبين ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾[فاطر:١٤].

نسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يُحيينا على عقيدة التوحيد، وأن يثبتنا عليها، وأن يميتنا عليها، إنه على كل شيءٍ قدير.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.